غدا ذكرى معركة المنصورة الجوية

لواء د. سمير فرج

الأهرام
13 أكتوبر 2022

تحتفل القوات الجوية المصرية غدا، الرابع عشر من أكتوبر، ومعها الشعب المصرى، بعيد القوات الجوية، والذى تم تأريخه بالنصر العظيم الذى حققته فى أشهر معاركها الجوية، بل وأشهر، وأهم، المعارك الجوية فى التاريخ الحديث فى العالم كله. والتى شهدت أحداثها سماء الدلتا المصرية يوم 14 أكتوبر عام 1973، وتحديدا فوق مطار المنصورة العسكرى.

شارك فى تلك المعركة الجوية 200 طائرة حربية؛ 120 طائرة منها تابعة للقوات الإسرائيلية، من أنواع الفانتوم وسكاى هوك وميراج 2000، مقابل 80 طائرة حربية تابعة للقوات المصرية، من طراز ميج 21 وسوخوى 7 وميراج 2000، إضافة إلى محطات الرادار المصرية، المسئولة عن توجيه وإدارة أعمال قتال تلك الطائرات المصرية.

دارت أحداث هذه المعركة العظيمة على مدار 53 دقيقة، لتسجل فى المراجع العسكرية كأطول، وأقوى وأشرس المعارك الجوية فى التاريخ العسكرى الحديث، والتى انتهت بانتصار القوات الجوية المصرية. فرغم التفوق العددى والنوعى للطائرات الإسرائيلية، فإن حجم الخسائر بين صفوفها وصلت إلى 17 طائرة إسرائيلية، بينما خسرت القوات الجوية المصرية خمس طائرات، فقط، سقطت اثنتان منها بسبب نفاد الوقود.

تعتبر تلك البيانات والحقائق الموثقة عن معركة المنصورة، أما بالنسبة لى، فلهذه المعركة قصة خاصة، تعود لفترة دراستى فى كلية كمبرلى الملكية بإنجلترا، عام 75، والتى كان من ضمن برنامجها الدراسى، زيارة كلية أركان حرب الجوية فى براكنل، لمدة أسبوع، فيما يعرف بفترة التزاوج بين القوات البرية التابعة لكلية كمبرلى، والقوات الجوية التابعة لكلية براكنل، ليتعرف دارسو كل جانب على أساليب التعاون فى أى معركة، والتى يطلق عليها معركة الأسلحة المشتركة الحديثة، والتى تتعاون خلالها كل هذه القوات لتحقيق النصر.

وفى أول أيام تلك الزيارة، تجمّع فى القاعة ما يزيد على 250 ضابطا، من أكثر من 60 دولة، من كل أنحاء العالم، لمناقشة فنون القتال، وسبل التعاون بين القوات البرية والقوات الجوية، ودارت المحاضرة الأولى حول نشأة وتطوير القوات الجوية، عبر التاريخ، بدءا من الطائرات المروحية، ثم النفاثات، وصولاً إلى أنواع الطائرات الأسرع من الصوت، فضلاً عن تطور الإمكانات الملاحية للطائرات، والنظم الفنية الحديثة فى علم الطيران، حتى أنظمة المحاكاة الجديدة لتدريب الطيارين.

ولما حان موعد المحاضرة الثانية، كانت المفاجأة بأن تم عرض أحدث معركة جوية فى التاريخ الحديث، فإذا بى أمام عرض، على شاشة المحاضرة، لمعركة المنصورة الجوية بين القوات الجوية المصرية، والقوات الجوية الإسرائيلية، استعرض، خلالها، المحاضر تفاصيل القتال الذى دار فى هذه المعركة لمدة 53 دقيقة، وتابع عمليات إقلاع الطائرات الإسرائيلية والمصرية من المطارات المختلفة، خاصة أن طرفى هذه المعركة الجوية استخدما، لأول مرة، أسلحة الحرب الإلكترونية الحديثة، لتشويش كل طرف على طائرات الخصم، والإجراءات المضادة التى يتبعها كل طرف للتغلب على عمليات التشويش، وهو ما كان استخداما حديثا فى هذه المعركة.

وعندما تطرق المحاضر لإمكانات طائرات كل طرف، ظهر التفوق العددى والنوعى للطائرات الإسرائيلية، أمام الطائرات المصرية، وهو ما علق عليه المحاضر بقوله إن ما حدث فى معركة المنصورة الجوية يؤكد لنا، كضباط طيارين، أن التدريب فى وقت السلم، سواء على فن الملاحة الجوية الحربية، أو التخطيط، أو إدارة العملية، هو ما حقق النصر لمصر، ومكّن طيارى قواتها من التغلب على الضعف النسبى لإمكانات الطائرة الميج، أمام الفانتوم وسكاى هوك. كما أشاد المحاضر بمستوى إدارة العملية، خاصة فى التنسيق والمزامنة بين الطائرات المصرية ووسائل الدفاع الجوى المصرى، فلم تسقط طائرة مصرية بنيران صديقة، رغم حائط الصواريخ التابع للدفاع الجوى المصرى، الذى كان قد أربك القوات الجوية الإسرائيلية طوال أيام حرب أكتوبر 73، وحَيّد قدراتها.

وتطرق المحاضر لارتفاع مستوى تدريب الأطقم الأرضية المصرية، المعنية بتوجيه الطائرات، مدللاً على ذلك بتكتيكات المخطط ومدير عملية المنصورة، على الأرض، الذى كان يدفع بالمقاتلات المصرية، بالتزامن مع استهلاك الطائرات الإسرائيلية معظم وقودها، فتندفع خلفها الطائرات المصرية، لتدميرها، ليقينها بأنه لم يتبق لها من الوقود إلا ما يسمح لها بالعودة للقواعد الإسرائيلية، دون القدرة على الاشتباك. كما أشاد المحاضر بقدرة الأطقم الفنية المصرية على أرض المطارات المصرية الحربية بسرعة إعادة تموين الطائرات بالوقود بعد عودتها من المهمة، وتطبيق الكشف السريع للصيانة، ثم إعادة تذخير الطائرات بالذخائر المطلوبة، وهو ما كان له الفضل فى سرعة عودة الطائرات المصرية إلى سماء المعركة. كما أثنى، مرارا، على كفاءة تدريب الطيارين المصريين، كأحد أهم العوامل التى ساعدت على تخطى عقبة التدنى النسبى لكفاءة الطائرات الميج 21 والسوخوى، أمام نظائرها من الفانتوم وسكاى هوك، لافتاً النظر إلى أن الطيارين الإسرائيليين دخلوا هذه المعركة، مرتكزين على شهرتهم المكتسبة فى حرب 67، بأنهم اليد الطولى للجيش الإسرائيلى، بينما خاضها المقاتل المصرى، معتمداً على تدريبه، ويقينه، وروحه المعنوية المرتفعة، فتحقق له النصر فى هذه المعركة الجوية.

إن معركة المنصورة الجوية مازالت تُدرس، حتى يومنا هذا، فى كل المعاهد العسكرية الجوية فى العالم، باعتبارها المعركة التى استخدمت فيها أحدث مقاتلات القوات الجوية فى قوات حلف الناتو، ومُنيت بالهزيمة على أيدى القوات المستخدمة مقاتلات حلف وارسو... فاليوم يحق لنا، نحن المصريين، أن نفتخر بالأداء المتميز لنسور مصر العظماء، من أبناء ورجال القوات الجوية المصرية.

Email: sfarag.media@outlook.com